الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مشروع البحث التكويني الجامعي PRFU :

التأسيس والتجريب في السرديات الجزائرية: القصة القصيرة والمسرديات أنموذجا

المعتمد تحت رقم: L01L01UN280120220004بجامعة المسيلة

شهادة مشاركة

يشهد رئيس الملتقى الوطني: **القصة القصيرة في الجزائر** (مستويات الخطاب السردي وتطور المتن القصصي القصير في فترة السبعينات والثمانينات)،

المنعقد بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة يوم: 30 أفريل 2024، أن الدكتورة:

نور الهدى حلاب

قد شاركت في فعالياته بمداخلة علمية تحت عنوان: **الأنساق الثقافية المضمرة في القصة القصيرة الجزائرية –نماذج مختارة-**

ونغتنم هذه الفرصة لنتقدم إليها بأرقى عبارات الشكر والتقدير لمساهمتها الفعالة والقيمة.

رئيس الملتقى

الدكتور: عزوز خشير

نائب العميد المكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

نائب عميد مكلف بما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

أ : سليماني كمال

المسيلة، في: 30 أفريل 2024

www.univ-msila.dz

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
مخبر الشعرية الجزائرية

مشروع البحث التكويني الجامعي PRFU:
التأسيس والتجريب في السرديات الجزائرية: القصة القصيرة والمسرديات أنموذجا
المعتمد تحت رقم: L01L01UN280120220004 بجامعة المسيلة

نائب العميد المكلف بما بعد التدرج و البحث العلمي والعلاقات الخارجية

برنامج الملتقى الوطني

القصة القصيرة في الجزائر

(مستويات الخطاب السردي وتطور المتن القصصي القصير في فترة السبعينات والثمانينات)

30 أفريل 2024

الافتتاح الرسمي 9.30

آيات بينات من الذكر الحكيم
النشيد الوطني
كلمة السيد رئيس الملتقى: أ.د. ختيم عزوز
كلمة السيد مدير الجامعة أ.د. عمار بودلاعة وإعلان الافتتاح.

محاضرة افتتاحية:

– أ.د علاوة كوسة (المركز الجامعي ببريكة):
القصة القصيرة الجزائرية؛ من وإلى أين؟

تكريم الأستاذة الدكتورة: هداية مرزق

قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية د. سرايش الطاهر)

بمساهمة

www.univ-msila.dz

الجلسة العامة الأولى

رئاسة أ.د. أحمد أمين بوضياف

– د. حكيم دهيمي (جامعة المسيلة): دور القصة القصيرة في بناء الوعي الاشتراكي في مجتمع ما بعد الاستقلال- المنطلق والغاية دراسة نماذج قصصية لمرحلة السبعينات.
– د. عليمة حمزاوي (جامعة خنشلة): نقد القصة القصيرة في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر- من القراءة السياقية إلى الإجراء النسقي.-
– د. نور الهدى حلاب (جامعة المسيلة): الأنساق الثقافية المضمرة في القصة القصيرة الجزائرية-نماذج مختارة-
– د. موسى عالم (جامعة بجاية): شعرية السخرية في قصص السعيد بوطاجين ، مجموعة (اللعنة عليكم جميعا) أنموذجا.
– أ.د. عباس بن يحيى (جامعة المسيلة): القصة الجزائرية القصيرة المكتوبة بالفرنسية؛ تعثر النشأة واضطراب المآلات.

الورشة الأولى (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية) الجلسة الأولى

رئاسة أ.د. عبد العزيز بوشلالق

– د. الطاهر مسيلي (جامعة بجاية): البنية الفنية والرؤية الفكرية في قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) للطاهر وطار
– د. أحمد رية (جامعة باتنة1): معالم الفكر الأيديولوجي والتربوي في المجموعة القصصية (سعفة خضراء) لأبي القاسم سعد الله
– د. فريدة نوي (جامعة باتنة): تيمة الثورة وملامح البعد الأيديولوجي في نصوص القصة القصيرة الجزائرية.
– د. لزهر ساكر (جامعة المسيلة): دينامية البنية القصصية في مجموعة (الصعود نحو الأسفل) للحبيب السايح
– أ.د. عبد العزيز بوشلالق (جامعة المسيلة): مواكبة القصة الجزائرية القصيرة للنضال السياسي

الورشة الأولى (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية) الجلسة الثانية

رئاسة د. الطاهر مسيلي

– د. البشير بختي (جامعة المسيلة): الواقعية المحلية في قصة (الظلال الممتدة) لزهور ونيسي وقصة (راشا) لعمار بلحسن وقصة (أطلقوا النار على الكلمات) لعبد الحميد بن هدوقة
– د. مولود قاني (جامعة المسيلة): القصة الجزائرية القصيرة في فترة السبعينات والثمانينات بين هاجس الثورة والالتزام ونزعة الانفتاح والتجريب
– د. سهام خينوش (جامعة سطيف): قضية الهجرة إلى أوروبا في قصة "على الشاطيء الآخر" لزهور ونيسي
– د. عبد القادر لكحل (جامعة المسيلة): الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية- مرحلة السبعينات والثمانينات أنموذجا-
– لخضر فرج (جامعة المسيلة): واقع الاغتراب في القصة الجزائرية القصيرة بين إشكاليات الحقيقة والوجود والمأمول

الورشة الثانية (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية الطابق الأول) الجلسة الأولى

رئاسة أ.د. عبد القادر العربي

– د. مبارك بالنور (جامعة تيارت): الرؤية النقدية للقصة القصيرة في الجزائر عند عبد الله الركيبي.
– د. عبد العزيز العايب (جامعة المسيلة): مفارقة الواقع و اللاواقع في قصص السعيد بوطاجين –ما حدث لي غدا و وفاة الرجل الميّت -عيّنةً-
– سمية خلفة (جامعة المدية): تيمة الاغتراب في القصة القصيرة الجزائرية (نماذج مختارة)
– خولة بوصبع (جامعة بسكرة): البعد الاجتماعي في كتابات أحمد منور القصصية (لحن إفريقي) أنموذجا
– وليد بوعلي (جامعة سطيف1)- أ.د. أحمد أمين بوضياف (جامعة المسيلة): أدلجة السرد القصصي الجزائري القصير-فترة السبعينات والثمانينات أنموذجا-
– أ..د. عبد القادر العربي (جامعة المسيلة): البناء الفني في قصة (جروح في ليل الشتاء) لعمر بن قينة ، دراسة نقدية

الورشة الثانية (قاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية الطابق الأول) الجلسة الثانية

رئاسة د. عاشور توامة

– ليندة بولحية- د. هشام ميداغين (جامعة المسيلة): عن الغربة والشتات في المجموعة القصصية (أسماك البر المتوحش) لواسيني الاعرج
– د. نورة قطوش (جامعة المسيلة): بنية الشخصية وأبعادها الدلالية في المجموعة القصصية (على الشاطئ الآخر) لزهور ونيسي
– د. رضا بن صفية (جامعة المسيلة): الفكر النقدي عند محمد مصايف (نقد القصة القصيرة) أنموذجا.
-فاتن بن داحي (جامعة المسيلة): معاناة المغترب الجزائري في المهجر قصة (المغترب) لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجا
– د. بسطال باسم- كريمة مليزي (جامعة المسيلة): الأيديولوجيا والسرد في المتن القصصي القصير بالجزائر-قراءة في قصة دخان من قلبي - للطاهر وطار

الجلسة العامة الثانية

رئاسة أ.د. ناصر بركة

– أ.د. بن يطو عبد الرحمن (جامعة المسيلة): الثورة في المتخيل القصصي الجزائري - قراءة في المجموعة القصصية (بحيرة الزيتون) لـ : أبو العيد دودو.
– أ.د. بن ستيتي سعدية (جامعة المسيلة): وعي ولمسات نقدية في القصة الجزائرية القصيرة لدى محمد مصايف.
– د. عاشور توامة (المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة): تيمة الاغتراب في الأعمال القصصية لزهور ونيسي

التوصيات واختتام الملتقى

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

استمارة المشاركة:

اسم الباحث ولقبه: نور الهدى حلاب.

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر (أ).

الاختصاص: أدب عربي.

الجامعة: محمد بوضياف- المسيلة.

الهاتف: 69- 16-12- 97-07

البريد الإلكتروني: norelhouda.hallab@univ-msila.dz

محور المداخلة: المحور الرابع: نقد القصة القصيرة في الجزائر، دراساته المنهجية والإبدالات الحداثية.

عنوان المداخلة: الأنساق الثقافية المضمرة في القصة القصيرة الجزائرية –نماذج مختارة-

تعد القصة القصيرة من أهم الأجناس الأدبية شأنها شأن الرواية، والتي أضحت محل اهتمام النقاد والدارسين الذين كان اهتمامهم منصبا على الرواية والشعر، ودارسي القصة القصيرة تناولوا في دراساتهم المنحى التاريخي، والمنحى الفني، والنادر هو من تناول الوعي الثقافي، وتحولاته ومقولاته الجمالية خاصة في إطار ما يصطلح عليه بالنقد الثقافي، والذي أساسه الأنساق المضمرة وهي نصوص خفية تختبئ داخل البلاغي الجمالي، وتعمل بطريقة عكسية مع المضمر البلاغي، إذ تعتبر مجالا واسعا يزخر بكل ما هو ثقافي، من عادات، وتقاليد، وتاريخ، وخرافة، وحكايات شعبية ...الخ ويتم هذا البحث انطلاقا من النص عن طريق الآليات، الإجراءات الخاصة بالنقد الثقافي الذي يعتبر اتجاها نقديا جديدا، يحاول شق طريقه إلى نصوصنا الأدبية في محاولة للكشف عن الوعي الثقافي.

إن الأنساق المضمرة هي إحدى المفاهيم الأساسية للنقد الثقافي، والذي هو منهج له أدواته وإجراءاته، يسعي للوصول إلى العلامة الثقافية باحثا عنها في جماليات النص وفيما ورائها وذلك من خلال الكشف عن النسق المضمر وهو عكس النسق الدال والمضمر

البلاغي داخل النص الأدبي وبهذا فإن النقد الثقافي يتقاطع مع النقد الأدبي من خلال بحثهما عن النقيضين.

والأنساق المضمرة هي أنساق ثقافية وتاريخية أصلية وهامشية تختبئ في ثنايا النصوص بغرض توجيه ذهنية القارئ وذائقته الثقافية متخطية حدود النص الأدبي إلى لا وعي المتلقي، حيث يقوم النقد الثقافي بتفكيكها وإخراجها عن طريق أدواته الإجرائية وقد أضاف نوعا ثالثا للجمل المعروفة في النص ا لأدبي– الجملة النحوية ذات البعد التداولي والجملة الأدبية ذات البعد البلاغي وهي- الجملة الثقافية والتي تكشف لنا عن النسق الثقافي المضمر فينتقل مفهوم المجاز البلاغي إلى المجاز الكلي والتورية البلاغية إلى التورية الثقافية وقد أصبح للنقد الثقافي مصطلحاته التي تميّزه عن النقد الأدبي كما أن له آلياته وإجراءاته الخاصة به والتي شكل من خلالها اتجاها نقديا جديدا، أساسه الأنساق المضمرة فهي نصوص خفية تختبئ داخل البلاغي الجمالي وتعمل بطريقة عكسية مع المضمر البلاغي وهو بهذا يخلق سؤالا جديدا، سؤال النسق عوضا عن سؤال النص الذي هو حامل لهذه الأنساق، قد نحتاج هنا إلى الوقوف على المعنى اللغوي والفلسفي لكلمة نسق لنرى إن كانت تحمل معاني مشتركة تجعل منها المصطلح الدقيق الذي يفي بما يسعى إليه النقد الثقافي بالإضافة إلى كلمة مضمر لغة.

أما فيما يخص القصة فإنها فن من فنون الأدب الجليلة، يقصد منها ترويح النفس باللهو المباح، وتثقيف العقل بالحكمة، وهذا الفن من الفنون التي احتلت مكاناً، مرموقاً في النفوس، لما لها من مُتعة يحس بها القارئ، ويتذوقها السامع، فهي شكلاً من أشكال التعبير، ومن أعرق ألوان الأدب تاريخاً و وجوداً، إذ أن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية تشترك فيها جميع الأمم، فهي مرآة الحاضر للماضي، ومظهر حضاري تعرف به الأمم والشعوب والمجتمعات ، ونادرا ما نجد شعباً من الشعوب، أو أمة من الأمم لا يوجد لديها تراث قصصي تُعرف به.

لقد عرفت القصة في الأدب العربي الحديث قفزة نوعية وتطور مذهل بفضل إنتاجها الغزير وتنوع سردِيتها، لذلك تصدرت الريادة بين الأجناس الأدبية، فشغلت تفكير الدارسين والنُقاد للكشف عن مكنوناتها والغور في أعماقها. أما الأعمال الأدبية الجزائرية فنرى فيها تعددا في الأساليب الفنية والجمالية، ولعل هذا يعود إلى اختلاف البيئات التي كتب فيها القاصُون أعمالهم، فتنوع مدلولات القصة الجزائرية ورموزها يدل على ثراء التجربة القصصية الجزائرية المعاصرة وإفادتها المبكرة من الأساليب الفنية الجديدة وانتصارها على الحصار القوي الذي فرضته إدارة المستعمر على التأليف الأدبية.

1-القصة العربية في العصر الحديث:

إن القصة العربية عرفت ترابطا في مراحل نشأتها وتطورها مع التراث القصصي على اعتبار أن عنصر القص/الحكاية، عرفه المجتمع البشري منذ القدم عن طريق الحكاية الشفوية. فالحكي فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات، فالإنسان يبدعه أينما وجد وحيثما كان، لذلك يقول رولان بارت ":يمكن أن يؤدى الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية، وبواسطة الصورة، ثابتة أو متحركة، وبالحركة وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثُولة والحكاية والقصة، والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة...."[1].

فالعمل القصصي عموما عرف تطورا كبيرا في مجال فنياته الأدبية المختلفة حيث يقول الدكتور سامي سويدان في هذا الشأن" :إن الوضع المتميز للعمل القصصي لم يقابله اهتمام مماثل في مجال الدراسة والنقد، خاصة من حيث تناول مقوماته الجمالية والتطرق إلى خصوصياته الفنية[2]".

اعتمد كُتاب القصة العربية الحديثة في بدايات النشأة على المزج بين تقنيات التراث القصصي وتقنيات الأشكال القصصية الحديثة، الذي" يضمن للكاتب أن يتعامل تعاملا خلاقا مع حصيلة الإنتاجات القصصية سواء انتمت إلى التراث أو إلى الذخيرة العالمية الحديثة[3]".

إن العالم العربي فترة الأربعينات حتى نهاية الستينات من القرن الماضي أفرز إنتاجا غزيرا في مجال كتابة القصة، وذلك على يد مجموعة من الأدباء أمثال: أمينة السعيد من مصر في عملها (آخر الطريق)؛ وكذلك فريد أبو حيدر من مصر في مصر في (الآم جحا)، كما نجد غسان كنفاني من فلسطين في (أرض البرتقال الحزين)؛ وأحمد بن بن عاشور من الجزائر بعمله (زواج عصري).

من خلال هذا الإنتاج الأدبي ظهرت إبداعات وروائع الكتابات القصصية العربية، وهذا ما تكلم عنه شريبط أحمد شريبط في إشارة منه إلى عوامل تطور الإبداع في العالم العربي، حيث يقول ":بدأت ملامح الاتجاه الجديد في كتابة القصة في الأدب العربي في نهاية الستينات، بفعل تأثيرات حضارية، أُصيب الفرد العربي– خاصة المثقف -خلالها بالقلق

---

[1] - سعيد يقطين، الكلام والخبر–مقدمة للسرد العربي-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص19.

[2] - سامي سويدان، في دلالية القصص وشعرية السرد ، دار الآداب، بيروت، 1991، ص10.

[3] - عبد الله أبو هيف، القصة العربية الحديثة والغرب، سيرورة التقاليد الأدبية في القصة العربية الحديثة – دراسة-، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق 1994، ص183.

والإحساس بالخيبة، فكان أن تَولد في أعماقه شعور عنيف برتابة الحياة، وعدم جدواها، وتَكون لديه إحساس بضرورة التخطيط لثورة على الاتجاه الواقعي[4]

ثم في مطلع السبعينات كانت الاستجابة الفنية لمسيرة النثر القصصي استجابة لظروف موضوعية وتاريخية في حركة الثقافة العربية واستمرارا لمجموعة من العوامل تتصل بالوعي من جهة والنظر إلى العالمية من جهة أخرى، فقد خاض الأدب العربي الحديث معارك جمة لإبراز فنيات النثر القصصي ضمن ما يعرف بالتجريب والتحديث؛ مما أدى إلى ظهور مذاهب أدبية في فنون القصة أسهمت إيجابا في كثير من الأحيان في ظهور هذا الفن ومدى ربط علاقتها مع الأفكار والتعبيرات الفنية كالأساطير والرمز بفضل العلوم الإنسانية والاجتماعية وقوة الإعلام والثورة المعلوماتية، وتزامن هذا كله مع تطور القصة العربية.

إن المتأمّل للأدب الجزائري بكل أنواعه وأجناسه التعبيرية يرى كيف أن هذا الأدب كان ولا يزال لصيقا بحياة الناس وكيف أنه لسان حالهم منذ زمن بعيد في محاولة منه "للارتقاء بالواقع إلى مستوى الفن سواء بترميم حطامه أو بجعل هذا الحطام ألما جميلا ومطهّرًا .وقد سعى هذا الأدب دائما إلى مواكبة الواقع ونقله والتعبير عنه بكل صدق وواقعيّة ولاسيّما في لحظاته التاريخية المهمّة ونخصّ بالذكر هنا الأدب في جانبه النثري، دون الشعري والقصصي دون غيره، فمن خلال تتبع الدراسات القائمة بمختلف مشاربها عن القصة القصيرة في الجزائر قد نجانب الصواب لو قلنا أن معظم الدراسات لم تتناول ذلك الجانب الهام من هذا الفن بوصفه مدوّنة سيسوثقافية ثريّة لتتبع الحلم الجمعي اللاواعي أو "الخطاب بلغة" ميشال فوكو " و"البنية الدالة "بلغة "لوسيان غولدمان" و"النسق الثقافي المضمر "بلغة" الغذامي "و"عبدالله العروي "، وبشيء من التاريخانية الضابطة لتغيّره أو ثباته .وما يشجّعنا على ذلك دون غيره هو أن الدراسات الفنيّة للقصة القصيرة الجزائرية التي يمكن أن نضيف لها جديدا حقيقيّا يتمثل في مسافات الوعي والقطائع الفكرية إن صح التعبير .وفي المقابل فإن" للدراسات الثقافية فضل في توجيه الاهتمام لما هو جماهيري وإمتاعي.

يمكننا تشريح بعض نماذج القصة القصيرة الجزائرية وتطبيق منهج النقد الثقافي عليها كاشفين جانبا من مضمرها الثقافي" والنسق بحكم أنه ذو طبيعة سردية فهو عادة ما يتحرك في حبكة متقنة ولذا فهو خفيّ ومضمر وقادر على الاختفاء دائما ويستخدم أقنعة كثيرة أهمّها قناع الجمالية اللغوية والبلاغة وجمالياتها ، لتمرّ الأنساق المضمرة آمنة مطمئنة من تحت هذه المظل الوارفة؛ في محاولة لإضاءته ومراقبة تحوّلاته داخل النصوص بشكل

[4] - شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947- 1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص37.

كرونولوجي وتطوّري من حيث الوعي كاشفين ما يمكن أن يفصح عنه النسق المضمر من تراكم للوعي الجمعي في القصة القصيرة الجزائرية منذ بداياتها الأولى في لحظات التأسيس لوجودها وإلى أن أضحت مجالا لطرح أسئلة الكيان الإنساني الجزائري، الأمر الذي يتيح لنا أيضا مناقشة جدالات الإنسان الجزائري كأحد المختلفين عن العقل المركزي الأوروبي وتقديراته لوعي الذات العالمة بذاتها وبالعالم بشيء من التاريخانية الضّابطة.

إن القارئ لنصوص روّاد القصة القصيرة الجزائرية وبغض النظر عن اكتمال البناء الفني للتجربة التي كانت في بداياتها التّأسيسية فإننا نجد كل النصوص يخترقها نسق مضمر تكويني ومهيمن يكاد يقول ذاته في كلمتين" أنا

آخر "يرتكز خطاب" أنا آخر "على الحقيقة التي تريد أن تفرض نفسها بكل وسيلة بل وبالقوّة، والتي فحواها أن لا وجود لإنسان الأطراف وأن الإنسان كمفهوم إما أن يولد وهو ضمن الحقيقة البيضاء الأوروبية أو أنه نوتة موسيقية خاطئة ضمن أوركسترا الأطراف التي لا يشكلها الوعي اللاتيني وحقيقة النهر الخالد الذي نبع من أثينا ليصب في أوروبا وعلى الأطراف أن تكون ذوات متلقية لا فاعلة في حضارة النهر الخالد بتعبير "فريدريك نيتشه في أفول الأصنام على الأقل، إذن هكذا وتحت هذا النير الضاغط على رقبة الشعوب المضطهدة ولد النسق المضمر الدافع لكل فن باتجاه التعريف بالذوات العامة المنفصلة والمغايرة لحقيقة العقل المركزي الأوروبي أو على لأقل حدث هذا مع القاص الجزائري في بداية نشأة القصة كمضمار فنيّ يتصدى لبشاعة التدمير، هذه الذوات التي تريد الانعتاق وتقاوم الذوبان عن طريق الحفاظ على ثقافتها؛ إذ يعتقد نقاد الثقافة" أن الثقافة تلعب دورا مهما في التطورات الاجتماعية والسياسية وكذلك في تطوّر وتنمية هوية الفرد.

2- أطوار النسق المضمر:

1.2. مضمر نسق الغيرية والمقاومة:

في(غادة أم القرى[5]) قصة قصيرة لأحمد رضا حوحو؛ تأتي عتبة النص من خلال العنوان بطريقة فيها الكثير من الحياد و التوجّس، ربما بسبب جغرافيا النص الحساسة (مكة) وما سيطرحه الكاتب من نقد لمجتمع مكة ووضع المرأة فيه، بالإضافة إلى توجّسات الكاتب كونه جزائري يكتب عن مجتمع آخر؛ وهذا ما يمكن تتبعه من خلال تراجع الكثير من دور النشر وقتها في نشر رواية" رضا حوحو "خشية الوقوع في محظور مجتمع شبه الجزيرة آنذاك، أما شخصية" زكية "رغم أنها لا تخرج من البيت فهي خياطة ماهرة جميلة وتدرك بعمق كافه أسرار جمالها وجمال ما حولها في صرختها الأخيرة تقدم لنا روح التوثب إلى

5 - ينظر غادة أم القرى قصة قصيرة لأحمد رضا حوحو، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، 2007، ص07.

الحريّة الجديرة بكل حياتها، في غادة أم القرى (المضمر) واضح وقائم على قسمات كثيرة عربي ومسلم وحرّ إنه النسق المضمر الذي يشد كلّ حبل السرد عند" حوحو "والذي يعني الاختلاف ومقاومة الآخر المهيمن وهي الجملة التي أردناها أن تلخص النسق المضمر لنصوص المقاومة والتي تعني **(أنا آخر)** إنه نسق مضمر موجّه ويشكل النص من ألفه إلى يائه .والجدير بالذكر في هذا الشأن أن الأدب الجزائري أو القصة القصيرة الجزائرية تحديدا لم تتحرك كفن من فنون مقاومة الاستعمار الفرنسي إلا حين كشف هذا الأخير عن نواياه الثقافية لتذويب الأنا العامة، صحيح أن القصة القصيرة ندّدت بجريمة الاستعمار بل الأكيد أنها فعلت هنا وهناك ولكنها لم ترفع شارة الخطر وجدارة التأسيس للكيان الجزائري المسحوق في كل الأبعاد الإنسانية إلا حين تعلق الأمر بمحو الذات وتجريدها مما يميّزها كفاعل ثقافي وحضاري نوعي.

وليست قلة الوعي ولا العبقرية أن يكون الكاتب هو لسان حال النسق المضمر الأكثر جدلا في عصره ذلك أن الكل كأفراد يتساوون أمام الخطاب بوصفه محمولا جمعيا وتكوينيا بالضرورة وإن" أحمد رضا حوحو "ليس الوحيد من كان يقاوم خطر المسخ الحضاري والذوبان في الآخر والأكيد أن هناك قسمات كثيرة في نصوص" أحمد رضا حوحو "تشكل حرقة الكاتب والمواطن الجزائري الواعي في آن واحد، والقارئ العادي سيكتشف تعدّد هذه القسمات التي تقوم عليها خطابات أخرى كالجميل والخيّر والطمأنينة والسلام كل هذا يمكن أن ننشئ له قسمات تناقضه غير أن كل تلك الجدليات التي سنقيمها بين هذه القسمات لا تخترق كل النصوص وليست مشتركة بين كل الروّاد لهذا لا يفيدنا ذلك في البحث عن النسق المضمر كفاعل تكويني يخترق كل نصوص المرحلة التأسيسية ووعي روادها؛ وهذا بالذات ما نريد أن ننوه به وهو فاعلية النقد الثقافي دون غيره من المناهج حيث يتيح للناقد أن يتبصّر النص ومقولاته الثقافية والمعرفية والاجتماعية والجمالية باستعمال كل العلوم الإنسانية الأخرى والنظر من كل زوايا النص بوصفه منتجا للمعرفة وليس فنيّا فقط.

2.2- مضمر نسق الترميم والخراب القائم

لا شك أن ثبات النسق المضمر حتى المرحلة الجديدة والتي تحوّل فيها من المقاومة إلى ترميم الذات المهشمة .بل والمتوقفة على بياض يرفض إحتواءات المركزية الأوربية ويريد أن يؤسس سياقه التاريخي الذي يختص به ويبعده عن وحشيّة ودمار طال الإنسان في أعماقه، هذا الترميم الذي رافق التحرّر من استعمار لم يترك شيئا إلا مجّه بالتزييف المتعمّد لحقائق التاريخ الكبرى بل وتلاعب بكل ما يمكن أن يشكل بعدا للهوية والجماليات والقيم التي تؤسّس عمق وكيان الإنسان الجزائري كمختلف ثقافي وحضاري.

لم يعرف أو بالأحرى يمارس الإنسان الجزائري معنى الدولة الحديثة كمكسب، إلا في تلك الصورة المشوّهة التي قدّمها الاستعمار، لنجد هاجس الترميم لدى كتّاب الاستقلال بكل مشاربهم يدعون فيه لضرورة إيقاظ المجتمع على مكسب النظام والتنظيم المدني والانخراط في العصر الحديث على غرار كل الأمم،" مصطفى" الذي يريد أن يوفر ليشتري ساعة بعقارب مضيئة وليستطيع تحديد الوقت في الظلام، مصطفى الذي يناديه صوت غريب كلما خلد إلى النوم" متى تخرج من الصحراء يا مصطفى "صحراء الوقت والمعنى صحراء الجهل والفوضى واللاتراكم هكذا يقدم لنا" الطاهر وطار "في قصته القصيرة (وجهان لعذاب واحد[6]) هواجسه وهواجس المرحلة إنها دعوة وحث للإنسان الجزائري للانخراط في إنتاج تاريخه الخاص، تاريخ المدنية مقابل البداوة، تاريخ الدولة والمؤسسات كمقابل لتاريخ القبلية والقرابة ولا تكاد تمر فقرة في هذه القصة إلا وكان هذا الحث على اليقظة يتبطنها.

يحدّثنا (واسيني الأعرج) بنفس هواجس النسق المضمر وهي الترميم الضروري للانخراط في إنتاج التاريخ، فالبداوة والسذاجة ليستا حكرا على الريف فقط بل هي سلوك في عمق المدينة، نافيا أن يكون أي أثر يشير إلى وجود مدينة بالمعنى الحديث، وعبر شخصية "عليلو "يريد أن ينقل لنا المشروع الذي دمّر عن آخره أي مشروع دولة الاستقلال والمدن التي أصبحت مجرد مسخ يتعاظم والقرى التي أكلها الفقر والتهميش ولا تمثل الريف في شيء، والإنسان التائه حتى النخاع في يوميات الخبز والعيش المهين، هكذا ودون اتفاق مسبق يتكشف لنا النسق المضمر المشترك بين نصوص الروائي" الطاهر وطار "وبين معاصريه" كواسيني الأعرج"، هذا النسق الذي يرتكز على مقولة ترميم الذات المنهوبة، الذات التي تراوح مكانها في انتظار مشروع ينقذها من عبثية اليوميّ غير المؤسس ومن فوضى الدال الثقافي.

ويمكن أن يتضح هذا النسق المضمر وبنفس المعنى في الكثير من أعمال جيل الاستقلال، بل ولا يتوقف الأمر عند القصاصين فقط فالشعراء والروائيون والفنانون التشكيليون والمسرحيون وكل المشتغلين في الحقل الرمزي، سنجد دون شك أن" ترميم الذات "وبوادر تراجع حلم دولة الاستقلال يخترق كل تلك النصوص والأعمال الفنية على اختلاف أنواعها ومشاربها الثقافية، للأسف يتعذر نقل نماذج كثيرة في هذا المقام لدعم فكرة هيمنة ووحدة النسق المضمر في فترة تاريخية معطاة .وكما أسلفنا أن الناطقين بلسان النسق المضمر في مرحلة ما ليسوا كتابا يريدون إملاء أفكارهم عبر الفن بل هو ما تتيحه العبقرية الاجتماعية في مرحلة ما من مراحل تململها التاريخي نحو التغيّر والتطوّر .وهكذا فإن هؤلاء الكتّاب والفنانين الذين يشكل النسق المضمر المشترك وعيهم الفني هم أكثر الكتّاب

[6] - واسيني الأعرج، وجهان لعذاب واحد، قصة قصيرة من موسوعة القصة القصيرة الجزائرية، ليلى حاج علي، الطيب لسلوس، 2013، ص403.

انصاتا للقضايا الثقافية لمجتمعهم والأكثر يقظة من غيرهم الذين من الممكن أن ينخرطوا في قضايا وهميّة ولا راهنة.

3-2 - مضمر نسق من الواحدية الى التعدد...الخيبة والأمل:

هكذا يبوح" معزوز "أو " بوشواطة " في (ويأتي الموج امتدادا) "للقاص والروائي أمين الزاوي "وتنبؤاته في تحوّل الدولة المدنية لما بعد الاستقلال إلى دكتاتورية في سبعينات القرن الماضي أي مكابدات الجيل الثاني للاستقلال من سلطة لم تعد تراعي أحلام الكادحين بل وأصبحت حبلا يخنق الحريّات والتعبير الحرّ، لقد واجه جيل السبعينات معاناة الدكتاتورية الاشتراكية على الرغم من أنه كان منخرطا إيديولوجيا في صفها ف"بوشواطة " ينصح الطفل من البداية أن يحذر من أحلامه فينبئه أن الزنازين ستحضنه مع رفاقه الذين اقترفوا الحلم، الحلم بالحرية وبمجتمع متعدّد وحديث .هكذا يتحول النسق المضمر من" أنا آخر "في الفترة الاستعمارية إلى ترميم الذات المهمشة في جيل الاستقلال إلى النسق المضر المتطلع إلى الحرية والتعدد في جيل السبعينات.

إذن رغم تبني السلطة في سبعينات القرن الماضي مقولات المثقف الحالم ببناء دولة المؤسسات، وحرية الرأي، والخروج من الواحدية السياسية، والفكرية. ورغم أن المثقف الجزائري كان منخرطا في عملية البناء، إلا أن السلطة القائمة كانت تتبرّم لمطامحه، وأحلامه في الخروج من الواحدية، بما في ذلك سلطة المجتمع إلى أن وجد نفسه_ أي المثقف السبعيني _يعيش حالة اغتراب فكري، وسياسي، جعلته يدوّن ثورته الفنّية حالما بمجتمع حرّ ومتعدّد .يقول الغذامي: "بواسطة هذا الانضباط سنرى في كل ما نقرأ وما ننتج وما نستهلك هناك مؤلفين اثنين أحدهما المؤلف المعهود مهما تعدّدت أصنافه كالنموذجي والضمنيّ والفعليّ والآخر الذي هو الثقافة[7]" ، وهكذا فإن النسق المضمر هو لسان حال المؤلف النسقي ويتجاوز عادة المؤلف المعهود، ويأتي فحواه معزولا عن فنيّة النصوص وتفاضليتها لأن النسق المضمر لا واع، وتكويني، مهيمن من خلف النص والناصّ على حدّ سواء، ومحمّلا بكلّ محاميل ثقافة المجتمع، من عادات، وتقاليد، وجلاء للراهن الثقافي في الذهنيات العامة . بل ويمكن تحديد مفاهيم العمل الفني للكاتب ذاته من خلال فنياته السردية والطرائق الواعية ولا واعية التي تكتنف النص.

ولو تتبعنا منطوقات الأنساق المضمرة عند جيل السبعينات لوجدنا خيطا واحدا يشدّ رقعة أحلامها المتمثلة في الدعوة إلى الحرّيّة، والتعدّد، كسبيل لبعث الحياة تحت سلطة تتكلس يوما بعد يوم، وتصادر أحلام راهنها.

---

[7] - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص75.

2-4- مضمر نسق اليتم وأسئلة الكيان:

إن انقسام التجربة الأدبية في سبعينات القرن الماضي؛ والذي بدأ من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى تجربتين منغلقتين تؤسّس كل واحدة فتوحاتها على نقدها للأخرى جعل من تجارب الدّول المستقلة من نير الاستعمار لا تمتلك خيارات كثيرة بل ومضطرة إلى الانخراط في أحد التجربتين إما ليبرالية أو اشتراكية بل إن معظم التجارب العربية كانت تحمل الأدب عنوة إلى خيارها السياسي الذي يعوّل على الكاتب تحويله إلى مشروع ثقافي والذي جسده كتّاب الاستقلال عموما وتمرّد عليه جيل السبعينيات وجسّد تمرّده جيل الثمانينيات، أما جيل التسعينيات فلم يعايش هذه الصراعات إلا على أنها جزء من تاريخ الأدب الجزائري في مرحلته التأسيسية، ليحمل جيل التسعينيات أسئلة جديدة تماما سيما النصوص التي كتبت أثناء وبعد المأساة الوطنية والتي أرغمت الكاتب التسعينيّ على مراجعة منظومة القيم وأسئلة الكيان كالهويّة والمعنى الميتافزيقيّ للوجود.

لقد فتحت أبواب جحيم الأسئلة الأكثر حرقة والأكثر إزعاجا مع انفتاح الإنسان الجزائري ونيله شرف إمكانية وضع كل موروثه الثقافي فوق طاولة النقاش، الشيء الذي حتّم على الكاتب التسعينيّ فتح تجربته على الآخر(الآخر من داخل الثقافة نفسها ومن خارجها أيضا فلا نكاد نجد كاتب تسعينيّ إلا وهو يتلمس طريقه نحو أسئلة الكيان، إن ضياع الإشارة والبحث عن مرتكز الهويّة هو القلق المبطن أو النسق المضمر والمنعكس في نصوص الجيل الجديد، جيل ما بعد التعدّدية .إنّ هذا الجيل لا يبحث عن الحرية فقط بل ويراجع تراكم موروثه الثقافي بحثا عن نقاط ارتكاز يستند إليها أو عليها لتدشين أرضية صلبة تجعل منه مشاركا في عاصفة المعلوماتية أو ما يصطلح عليه بالعولمة وتؤسس إلى مشروعيّة الكتابة .إنه جيل اليتم الإيديولوجي أو" جيل تائه "كما يعبّر عنه الناقد والكاتب " أحمد دلباني في كتابه المتاهة".

ولهذا وكمظهر عام لجيل التسعينات يمكننا اعتباره جيل التجريب الفنيّ بامتياز فكل الأعمال القصصيّة وحتى الشعرية والروائيّة هي ورشات مفتوحة على التجريب سواء من داخل الثقافة العربية المغاربية بالعودة إلى الموروث الثقافي العربي والأمازيغي أو من خارج الثقافة العربية عن طريق الاحتكاك والمثاقفة لتجارب تملك نفس المسار التاريخي تقريبا كتجارب أدب أمريكا اللاتينية.

هكذا مع أن البطل هو ذاته الكاتب التائه في جزائر "بني مزغنة " في مونولوغ طويل يطرح فيه أزمة الإنسان الجزائري في راهنه، أزمة تجعل من مجتمعه باهت المعالم ،عدميّ وغير مهتم البتّة بأسئلته الانطولوجية والتاريخية، إنها كل منابع أزمة البحث عن الإشارة الضائعة في كومة اللامعنى اليوميّ الذي يلف كل منابع الحياة الجزائرية في نظر القاص

الجزائري (الخيّر شوار) في قصته" الطريق إلى جزائر بني مزغنة "هكذا ومن عنوان القصة يتجلى النسق المضمر في النص التسعينيّ نسق هو أيضا دافع لكل ما هو فنيّ إلى اتجاه الأصيل وما يجب أن يستمر وما علينا أن نطرحه من ذواتنا الماضية، دفع باتجاه البحث عن الذات الممكنة كخيط إبرة يخترق نسيج السرد القصص يّ عند" الخير شوار " وفي كل الكتابات القصصية الجزائرية الحديثة لا يكاد الكاتب على طول النص أن يطرح إيديولوجيا واضحة فلا يسار ولا يمين ولا ديني ولا لا ديني لأن أرق الضياع واليتم وضرورة مراجعة وطرح الأسئلة الانطولوجية هو النسق الأصلي القابض على النص من داخله ومن خارجه وأصبحت الأنساق الهامشية كلها مجّرد دوران ومراوحات لمحاولة الإفلات إلى راهن جديد أكثر أنسنة وأقل سحرية.

لقد وضحنا في البداية أن تناول النسق المضمر كان خيارا أردناه لتوضيح المسافات المعرفية وتحوّلات الوعي السردي للقصة القصيرة الجزائرية، وهذا أيضا ليمدنا ولو بخطاطة بسيطة لمدى مرافقة القصة القصيرة الجزائرية والقاص الجزائري لراهنية أسئلته الإبداعية كما أن المهم في كل هذا هو ما يبدو عليه الفن بصفة عامة كقرن استشعار متقدّم يناقش ويحلل ويحذر وبل ويقترح الحلول قبل وقتها، ذلك الجانب التنبّئيّ، الذي يكسب الفن قدسيّة لا نظير لها.

خاتمة:

تبدو القصة القصيرة الجزائرية وهي تستمد شعرية الكتابة وشرعيتها من المأزق التاريخيّ الذي يخصّ الإنسان الجزائري دون غيره وبعيدا عن أدبية النصوص القصصيّة فهي أي القصة تضع نفسها كمضمار نجاح وفشل لكل ما يخصّ الإنسان الجزائري من أسئلة يكبّلها الواقع وتحرّرها الكتابة.

وهذا ما ندعوه كمؤشر للأدب الحيّ والمتجدّد واللصيق براهنيّة تاريخه مقاوم حين توجب عليه إعلاء صوت شعبه وهو يقاوم برفضه للذوبان في ثقافة استعمارية، ومستنهض لوعي الإنسان الجزائري حين أظهر هذا الأخير شوقه للحرية والاستقلال .داعيا إياه إلى تأسيس دولته وكيانه التاريخي بعد الاستقلال، كما هو واضح طرح قيمة الحياة والموت والتسامح حين علت أصوات التعصب والظلام خلاله، وكل هذا تكشف عنه القصة القصيرة الجزائرية عبر أنساقها المضمرة منذ ظهورها في أشكالها الأولى إلى أن استوت على عرشها بين الفنون الأخرى وفي مصاف هذا النوع من الفن العالمي.